تصريح وزير الخارجية السوري، فاروق الشرع، حين لوّح الاسرائيليون بامكانية التوصل الى تسوية بشأن الجولان السوري المحتل، فعتب الفلسطينيون، صرّح الشرع: «لا نستطيع الانتظار خمس سنوات حتى تنتهي المرحلة الانتقالية بالنسبة للفلسطينيين». لكن السلوك التفاوضي الاسرائيلي تكفّل بحل «مشكلة التنسيق» في ما بين الاطراف العربية التي بدأت، ولو بشكل خجول، تكتسب صفة دورية قبل بدء كل جولة. وعزّز السلوك الاميركي، قبل وبعد الشراكة الكاملة، النشاط التنسيقي العربي؛ ويبدو، الى حدّ ما، انه بات واضحاً للمسؤولين العرب ان أيّاً منهم، مهما بلغ حجم كيانه السياسي، ومهما بذل من أدوات التقرب، لن يكون بالنسبة للاسرائيليين والاميركيين معهم سوى «عربي / عدو»، مع ان الامـر لا يحتاج الى كثير تفكير، فالتسوية أو السلام لا يكونان الّا بين الأعداء، وليس لدى الادارات الاميركية أي وهم في صداقة العرب لها (خاصة دولة كسوريا أو الشعب الفلسطيني)، وهي (أمـيركـا) لذلك تسعى، عبر اسرائيل، الى التوصل الى تسوية و/ أو سلام مع العرب؛ فهل يبحث المسؤولون العرب حين وضع استراتيجيتهم للتفاوض (الذي جعلوه خياراً وحيداً) مضمون السلام و / أو التسوية الاميركية ـ العربية التي ستكون من ضمنها التسوية مع اسرائيل؟ والتساؤل الجوهري في هذا الشأن هو: هل اطالة عملية التفاوض لانضاج «عملية السلام»، أم لانجاز «فك الارتباط» بين فسيفساء المكونات العربية؟

يبدو أن المسؤولين العرب خلصوا، قبل الجولة التاسعة من مفاوضات السلام، الى نتيجة مفادها ان التنسيق في ما بين أطراف التفاوض «ضرورة». وفي رأينا، ان هذا التنسيق كان يجب ان يكون «قاعدة عربية» لعملية التفاوض وليس ضرورة. وقد انتهت سلسلة «العتاب» العربي، الى الاتفاق على ان التقدم في أي مسار من مسارات التفاوض هو مكسب للجميع، وان مثل هذا التقدم، لو حصل، يجب ان لا يشكل قاعدة لتسويات منفردة؛ وهذا جيد بالرغم من تأخره، فالتاريخ ليس «فرصاً أخيرة» ولا «فرصاً ضائعة»، بل هو عملية تجرى وفق شروطها وبعناصرها الفاعلة والمنفعلة، ومنها القادة.

وفي رأينا، ان العمل التنسيقي العربي قابل للتشغيل في التفاوض مع أميركا واسرائيل، ويقتضي تشغيله ايضاح واعلان أمرين:

أ ـ ان عملية التفاوض على السلام و / أو التسوية انما تتمّ مع عدو عدواني ومستعمر.

ب ـ ان خيار التفاوض ليس خياراً وحيداً، بل هو خيار رئيس في هذه المرحلة، وهو فعلاً ليس خياراً وحيداً؛ فالفلسطينيون يقاتلون بوسائلهم المحدودة جداً، وهم يقلقون الاسرائيليين، وإنْ لم يصلوا بعد الى حدّ ازعاجهم، لكن اتجاه السهم واضح.

ومن جانب آخر يقتضي الامر ان يكون واضحاً:

أ ـ ان سوريا دولة قائدة في المشرق العربي، وبعد خروج مصر من قاموس الصراع مع اسرائيل، سوريا هي «الدولة القائدة» لهذا الصراع، دون النظر الى الشكل الذي قد يتخذه (بما هو صراع حضاري).

ب ـ ان القضية الفلسطينية هي «موضوع الصراع»، وان أي حل أو أي تسوية لأي من متفرعات هذا الموضوع لا حياة له ولا استمرار ما لم يكن الموضوع الفلسطيني هو محور الحل و / أو التسوية، وليس مجـرد قضية كبقية القضايا السورية والاردنية واللبنانية التي يقتضي الامر رؤيتها كفروع للقضية المحور.